إشراف /فاطمة رشاد

(طموح لم يتحمله بشر)

كتاب يضم لقاءات مع (90) عالماً

▪ القاهرة/ متابعات:

أصـدرت مكتبة الأنجلو المصرية، مؤخراً، كتاباً للدكتورة رشا الجندي بعنوان (طموح لم يتحمله بشر) ويجمع الكتاب بين سيكولوجية (العلم، النفس، السياسة، الاقتصاد، الدين، المتعة) في آن واحد.

كما أوضحت الكاتبة أن الكتاب هو نتاج لعشرة أعوام من البحث المتواصل، أجرت خلالها لقاءات مع تسعين عالما من أنحاء العالم في مجالات (علم النفس - السياسة- الاقتصاد - القانون - الدين- التربية - التنمية البشرية - المناهج – الإعلام).

المستشرق البريطاني إريك ماكرو ..

عـــدن وأحـــداث مـــن التـــاريخ

في كتابه (اليمن والغرب) الذي يؤرخ فيه المستشرق البريطاني إريك ماكرو لحقب من عام 1571م حتى عام 1962م صفحات تسجل لأحداث مرت على مدينة عدن لتصبح من المرجعيات التاريخية ـ الثقافية ومعالم الهوية الحضارية لهذه المدينة، حيث تكون الأحداث وأسبابها الموضوعية وعوامل وقوعها، ما يقدم للفكر أبعاد تلك الصراعات على هذه المدينة، وما لموقعها من أهمية في صناعة المراحل التي تتواكب مع تغير الثقافات والسياسات وحياة الناس الذين جعلوا من عدن هوية وانتماء وتاريخاً.

يقول إريك ماكرو عن بريطانيا وأهمية عدن في السياسة الدولية : (لقد مضى على بريطانيا العظمى نحو من أربعين عاماً من التفكير ـ في القرن التاسع عشر ـ قبل أن تقرر الاستيلاء على عدن ومنذ سنة 1839م فصاعداً أصبحت اليمن شوكة في جنب الإدارة البريطانية في عدن وبالتدريج تم التوصل إلى شبه سلام مع رجال القبائل المحيطة بميناء عدن، حتى تم نوع من تحديد الحدود بين منطقة عدن وماخلفها ـ من ناحية ـ وبين اليمن من ناحية أخرى في السنوات الأولى من هذا القرن . وفي الخمسين سنة التالية ـ أو نحو ذلك استطاعت اليمن وعدن أن تتعايشا معا عبر سلسلة من المناوشات على الحدود والمتاعب التي جاءت نتيجة لاحتلال إيطاليا للحبشة.

نجمي عبد المجيد

وخلال ذلك اصبحت عدن ـ التي كانت لمدة طويلة مجرد نقطة عسكرية من سلسلة نقاط عسكرية بريطانية في المحيط الهندي ـ اصبحت بالنسبة لبريطانيا قاعدة عسكرية، وميناء لتزويد السفن بالوقود في الدرجة الاولى من الاهمية.

ومن هنا فإنه حتى حينما اصبحت التزامات بريطانيا الاستعمارية الاخرى، جزءاً من الماضي، استمرت بريطانيا تواجه اليمن وحكامه المتعاقبين في ثوبها القديم كقوة استعمارية وذلك حتى اواخر الستينات من هذا القرن).

ظلت عدن عبر تاريخها في الحقب الماضية دائرة تنافس دولي، وفي عام 1602م أسست شركة الهند الشرقية الهولندية، ولكنها لم ترسل اية سفينة الى جزيرة العرب الا في عام 1614م حينما سعى بيتر فان بروكا الى إقامة مركز تجاري في عدن.

وكانت سفينة ناسو التي يقودها عادت الى المخا في يناير من عام 1616م بعد رحلة دامت 18 شهراً زار خلالها الشحر ومناطق اخرى وعقد اتفاقيات تجارية لصالح شركة الهند الشرقية الهولندية، ومن المخا ابحر في 7 يوليو وفي 22 اغسطس 1620م عاد الى عدن على السفينة (ايت واين فان) ثم رحل عبر البحر الى سقطرة وترك خلفه احد التجار الكبار وهو هير مان فان مع مساعدين في عدن من اجل التجارة.

لم تكن حدود التجارة بعيدة عن حدود السياسة ومادامت عدن تقع في هذا الممر فهي لا تبتعد عن الهدف الاول والغاية الثانية، وعندما توسعت حركة القطع الحربية في البحر الأحمر وخليج عدن وعن تلك التحركات يقول إريك ما كرو (أرسلت السفينة ديد الوس في عودة إلى رأس الرجاء الصالح لجلب المؤن على أن تلحق بالأسطول في عدن. واخيرا وصلت السفينتان ليوبادر واور ستيس إلى المخا في 14 ابريل سنة 1799م لتجدا أن السفينة سنتوريون بقيادة القبطان ج . س. رينر والالباتروس بقيادة القبطان و. وولر قد أبحرتا الى السويس وذلك بأمر من القائد العام لجزر الهند الشرقية.

وفي أثناء ذلك حملت السفن فوكس وبرينسيس شارلوت وستر ومبولو، وبعض سفن النقل والـزوارق الحربية، حملت المقدم ماري ومعه 200 من الأوروبيين من جنود الفرقة 84، و600 من الجنود المحليين إلى بريم. ونزل ماري إلى الجزيرة في 3 مايو سنة 1799م و أقام بها حامية مستديمة.

ولكن حين وصل بلانكيت في 7 مايو وجد أن الحامية كانت رديئة الإعداد والمعدات وينقصها الماء، ولا تستطيع بما لديها من مدافع حماية مضيق باب المندب.

وبناء على ذلك نقل ماري حاميته إلى عدن فوصل إليها في 1 سبتمبر ورحب به السلطان العبدلي احمد بن عبدالكريم الذي قدم أراضيه إلى البريطانيين.

وصل بلانكيت إلى بومباي من البحر الأحمر في يناير سنة 1800م وحاول ان يقنع حكومة بومباي لتقبل عدن هدية وتقيم لها حامية هناك.

وأشار إلى انه بما أن معظم عائدات الجزيرة من البن ومن حركة الحج تصرف في شراء الحبوب من مصر، فإن استيلاء بريطانيا على عدن سيجعلها تتحكم في الإمدادات الغذائية للنصف الغربي للجزيرة، ويسمح بتحويل تجارة بن المخا عن طريق عدن نفسها.

بيد أن الحاكم العام للهند رفض هذه الفرصة العظيمة في فبراير سنة 1800م ، وابحرت قوة ماري إلى بومباي في مارس بعد أن مكثت في عدن خمسة أشهر وعاد بلانكيت ايضاً إلى البحر الأحمر في نفس الشهر ومعه ليو بارد، فورت، فوكس، التاتروس، وامبوينا).

في عام 1837م قدم النقيب جميس ماكينزي من فرقة فرسان البنغال، كشفاً في تقرير رفعه الى وزارة الخارجية البريطانية بان محمد علي باشا كان يعد خطة يهدف من خلالها الى احتلال عدن، وكان ذلك بعد أن زار النقيب جيمس المخا وجدة والحديدة في طريق عودته الى بريطانيا من الهند.

ومنذ عام 1834م هدف محمد على باشا الى دعم تواجده في اليمن وبحلول عام 1839م كان هناك ضغط ثنائي من قبل بريطانيا وتركيا لترحيل قوات محمد علي باشا عن تهامة، وقد شدد جيمس على اهمية عدن وضرورة الاستيلاء عليها بسرعة ليس لاحباط خطط والي مصر فقط، بل كذلك لفرض الحضور في عدن كمركز تجاري ومحطة لتزويد السفن البخارية الجديدة المسافرة مابين السويس والهند بالوقود وكان قد تم في عام 1828م تأسيس محطة لتزويد السفن بالوقود في المخا، وفي بداية عام 1829م كان الفحم ينقل بواسطة السفينة تيتيس الى جزيرة صيرة في عدن.

كانت الصراعات الدولية على عدن وممراتها البحرية قد توسعت حسب تحركات تلك الدول في هذه المنطقة وعن هذا الجانب يقول الباحث اريك ماكرو : (في ديسمبر سنة 1856م وصلت سفينة امريكية الى عدن تحمل اخباراً مفادها ان سفينة فرنسية اسمها ناركيس، كانت في طريقها من زنجبار لاحتلال بريم باوامر محددة وكان المقيم البريطاني العميد كوفان قد تلقى الاوامر من لندن باحتلال تلك الجزيرة.

وفي 11 يناير سنة 1857م حين كانت السفينة ماهي، على وشك مغادرة ميناء عدن مع حامية الاحتلال بقيادة الملازم م. ج. م ـ قريق والملازم بيلامور وصلت السفينة الفرنسية الى ميناء عدن فرفع العلم الانجليزي على جزيرة بريم في اليوم التالي واستقرت الحامية بها.

وبعد ان أحبطت محاولتهم هـذه وجـه الفرنسيون جهودهم الى أماكن أخرى في البحر الأحمر، الا انه في سنة 1865م استطاع التاجر الفرنسي السيد روبيو شراء شيخ سعيد من احد الزعماء المحليين وأقام مركزاً تجارياً.

وسرعات ما تعطل هذا المركز وترك نهائياً في سنة 1870م وعاد الامتياز إلى الحكومة الفرنسية التي حصلت على اذن من تركيا في عام 1869م لإقامة محطة للوقود هناك الا انه لم يتم العمل بمقتضى ذلك الامتياز نظراً للتدخل الانجليزي، ولم تقم قائمة للمشروع الفرنسي في انشاء محطتهم تلك.

وهكذا ـ بينما ظل البريطانيون بعدن في حالة تحفز استمرت مـدة اربعين عاماً، وذلـك بسبب مخططات الفرنسيين في البحر الأحمر، قبل فتح قناة السويس وبعده ـ نجد أن تيقظ سلطات عدن ومقدرتها على اتخاذ الإجراءات المضادة قد حصرت الوجود الفرنسي بالبحر الاحمر في الساحل الصومالي على مسافة بعيدة من عدن واليمن).

ظلت محاولات استعادة عدن بعد دخول بريطانيا إليها، فكانت عدة مواجهات من الداخل تجري بين القوات البريطانية وقبائل وأشخاص، فقد شن السيد اسماعيل وهو زعيم ديني ـ محلي هجوماً على عدن بتاريخ 17 اغسطس عام 1846م ولم يحقق أي تقدم وحاول مرة اخرى في تاريخ 26 اغسطس من العام نفسه غير انه تلقى ضربة قوية من البحر من قبل سفن حربية بريطانيا بقيادة الملازم هاميلتون حيث كانت راسبة بالقرب من خورمكسر.

وفي عام 1805م تعرض طقم زورق تابع للسفينة اوكلاند عندما كان افراده ينزلون على الشاطئ الشمالي من خليج عدن، وقد قتل احدهم وجرح البعض، وفي فبراير من عام 1851م تم اغتيال ضابط التموين النقيب ميلن وجرح آخرون من بينهم كان الملازم ماكفيرسون وهو من الفرقة 78 الاسكو تلاندية عندما تعرضوا لهجوم من قبل جماعة من الوهط وهم في رحلة قنص.

كذلك تعرض الملازم ويليسر وهو من الفرقة نفسها لهجوم من قبل شخص غير انه تمكن من قتل مهاجمه وفي شهر يوليو تحطمت سفينة كوميرس بالقرب من عدن كما قام بعض الافراد من قبيلة العبدلي بقتل وكيل ربان السفينة واحد بحارتها، وقد تم القبض على المحرض على تلك العملية ونفذ فيه حكم الإعدام بأمر من السلطان العبدلي، الذي جهد كي تظل علاقاته مع سلطات عدن البريطانية بشكل ودي.

في نهاية عام 1857م أ وقفت حكومة عدن البريطانية ماتدفعه من مال للسلطان العبدلي، بسبب مايقدم عليه رجاله من اعمال نهب للبضائع القادمة من بير احمد الى عدن، ومقابل ذلك اوقف السلطان الامدادات التي كانت تصل الى عدن كما اقدم على احتلال الشيخ عثمان لذلك قامت فرقة عسكرية بقيادة العميد كوجلان ومعه فرقة تابعة لسفينة حربية بريطانية بطرد جنود سلطان لحج من الشيخ عثمان وقاموا بنسف القلعة والقرية.

اثناء قيام الحرب العالمية الاولى 1914 ـ 1918م لم تكن عدن بعيدة عن ذلك التصارع الدولي في البر والبحر، فقد ظلت هذه المدينة نقطة انطلاق ومراقبة لاحوال الحرب، بل كانت معرضة بين حين وآخر لأزمات تلك الحرب التي حددت ملامح لدور القوة البحرية البريطانية في تنفيذ مهامها على طول خطوط الملاحة البحرية في خليج عدن والبحر الاحمر وباب المندب والجزر التابعة لهذه المواقع، وحول هذا الجانب يقول اريك ماكرو (هجم الترك على لحج في سنة 1915م كان قوام قوتهم 2000 جندي من الترك و4000 جندي من اليمنيين كما انزلوا عشرة مدافع الى الميدان وكان في الفرقة الاخيرة مشتركة (3000) جندي من المجندين العرب بعضهم من الصبيحة وبعضهم من يافع وكل حواشب الحجرية.

وفي مقابل ذلك كانت تقف حامية عدن الصغيرة التي تتكون من فرقة مشاة بريطانية وفرقة مشاة هندية وفرقة من سلاح الفرسان الهندي يبلغ عدد افرادها حوالي المائة ولذلك فأنه لم يكن من المستغرب ان يبدأ الاتراك مباشرة في تطويق عدن ويزحفوا الى اقصى الجنوب الغربي لمنطقة النفود البريطاني، ولكن العميد هـ . ف ـ كوكس الذي يراس اللواء 29 من سلاح المشاة الهنود وتحميه مدفعية البحرية الملكية نزل في الشيخ سعيد في التاسع من نوفمبر سنة 1914م وتمكن من دحر قوة تركية كبيرة كانت تهدد بريم.

وكان لواؤه جزءاً من قوة كبيرة ففي 2 نوفمبر غادرت الهند قافلة كبيرة من السفن تحمل خمسة الوية من المشاة ولواء سلاح الفرسان الامبراطوري في طريقها الى مصر وفرنسا وكانت تحرسها السفينة ديوك اوف ادنبرة بقيادة هنري بلاكيت، والسفينة (وسويفتشور) والسفينة (نورت بروك) وهي سفينة مساعدة من سفن البحرية الملكية الهندية، وطلب الاذن لاستخدام بعض هذه القوات لزحزحة الاتراك من الشيخ سعيد، واعطي ذلك الاذن شريطة الا تتاخر القافلة اكثر من 24 ساعة.

وفي 8 نوفمبر كانت القافلة تقترب من عدن. وأثناء ذلك ارسلت السفينة ديوك اوف ادنبرة على عجل بصحبتها ناقلات ثلاث منها السفينة سيتي اوف مانشيستر وفي فجر التاسع من نوفمبر قامت بقصف حصن التربة.

وبما أنه لم يحدث رد فعل من الساحل فان بلاكيت قاد الناقلات وانزل الجنود، فتصدت له القوات المدافعة فجأة وبدون سابق انذار.

وفي ظهر ذلك اليوم تم انزال نصف الجنود البريطانيين على الشاطئ وزحفوا نحو ماتبقى من الحصن لاجلاء الاتراك عنه ولما بدأت الهجمة الاخيرة على الحصن انسحب الاتراك، وفي المساء كانت التلال المحيطة به كلها قد سقطت في يد البريطانيين.

وفي صباح اليوم التالي انزل بلاكيت فرقة الهدم التي قامت بدك الحصن وفي السادسة مساء عادت القوات جميعها الى السفن حيث واصلت من ثم رحلتها في البحر الاحمر، وترك العميد كوكس وراءه في عدن فرقة الرواد السيخ السيخ الاستطلاعية رقم 23، الذي استخدموا فيما بعد ليحلوا محل الحامية الصغيرة في بريم).

في شهر يونيو من عام 1915م كانت حامية عدن تعاني من نقص في قواتها نظراً لارسال بعض منها الى جزر كمران وفرسان وغيرهما من جزر البحرالاحمر، وكان زحف تركي قد بدأ نحو عدة فقد كانت في المدينة الامكانيات المتوفرة فيها محلية ومحدودة، فرقة صغيرة متحركة عرفت باسم طابور عدن المتحرك وفي ذلك الوقت قام الأتراك باحتلال الشيخ سعيد مرة أخرى وفي 13 يونيو عام 1915م قصفوا بريم، غير ان الفرقة 23 من الرواد السيخ تصدت لهذا الهجوم التركي وقد لحقت بقوات الترك عدة خسائر، ومع ذلك نجح الانجليز في بريم ورأى العميد د. ل. ب ـ شو من المهم ارسال فرقة فرسان عدن الى لحج لدعم السلطان العبدلي، وفي تاريخ 3يوليو 1915 خرج طابور عدن المتحرك الذي نقص عدد جنوده الى 1000رجل لدعم تلك الفرقة.

غير هذا ،يقدم لنا الباحث إريك ماكرو عدة معلومات مهمة متصلة بتاريخ عدن والمناطق الجنوبية واليمن في حقب من الزمن تجعل الكتاب من المراجع المهمة لمعرفة عدن ومكانتها في السياسة الدولية عبر عصور في الماضي وقراءة لما هو حاضر وما سوف يأتي في الغد.

المرجع

اليمن والغرب
تأليف: اريك ماكرو
ترجمة: الدكتور حسين بن عبدالله العمري
دار الفكر دمشق ، الطبعة الثانية،1987م

سطور

استغاثة مثقف

إلى وزير الثقافة المحترم

الأخ وزير الثقافة المحترم.. أسعد الله أوقاتكم بكل خير وأتمنى أن تتكرم بقراءة هذه السطور التي أكتبها على عجالة وفي لحظة (غضب تاريخية) أعيشها مع نفسي المكلومة بسبب الأوضـاع المزرية على كافة الأصعدة.

طارق حنبلة

وعـلـى رأسـهـا الوضع الثقافي الذي أصبح يدمي القلب حقاً ويـتـرك في أعماق الروح غصة مريرة ومميتة إلى حد أننا كرهنا أنفسنا فعلاً وأصبحنا نفكر بعقلية النوارس والطيور المهاجرة الأخـرى التي تبحث في الغالب عن سواحل جديدة قريبة أو بعيدة أو حتى في (تنكة بلاد النامس).

يا سعادة الوزير الدكتور (المثقف الوطني) المعروف والمشهود له بالكفاءة والنزاهة، الوضع الثقافي - وأنت مسؤول عنه – مخيف للغاية وينذر بكارثة وطنية واجتماعية وحضارية مستقبلاً وربما في القريب العاجل.

لأن الثقافة يا صاحب السعادة هي الأرضية الحقيقية واللغة الرسمية (الحضارية لأي شعب) وهي العنوان الأبرز لصيغة الوهج المدني والجمالي الإبداعي والإنساني الذي يحيا في كنفه أي شعب أو أمة، هنا أو هناك.. في الشرق أو في الغرب.

يا دكتور عوبل عافاك الله وسدد خطاك الإخوة في وزارة الثقافة (الله يهديهم) ويثبتهم على الفعل النبيل منذ فترة طويلة (عقود عديدة) يتحدثون ولا يعملون إلا في (الربيع) والجو بديع، أين المسرح الوطني يا سيدي؟.. أين الكوميديا الضاحكة من حياة الجماهير؟

أين المهرجانات الوطنية التي كنا نشهدها ونزهو في عوالمها الجميلة الخضراء؟.. مهرجان الأغنية اليمنية.. مهرجان الرقص الشعبي.. الأعمال الفلكلورية المختلفة.. المعارض الفنية والتشكيلية التي كانت بالجملة.. الأعمال الدرامية الرائعة (جادة وضاحكة).

أين دور السينما؟.. لماذا لا تكون لنا أماكن راقية لدور العرض السينمائي؟.. لماذا تعيش الأغنية اليمنية العريقة في هذه الكهوف المخيفة؟.. بهذا الشكل المزري حقاً.. لماذا لا نحتفل بمبدعينا القدامى الأجلاء؟.. لماذا يموت الفنان اليمني قهراً وكمداً وفي مساحة أنين لا تنتهي إلى أن يلتقي الشيخ الجليل والشهير (عزرائيل)؟.

لماذا لا تكون لنا دار للعزف الاوبرالي كباقي الخلق أم أن (الكعكة بيد اليتيم عجبي)، لماذا لا تراعون الفنانين والمبدعين (صحياً ومادياً ونفسياً)، لماذا لا يكون لهم مشاريع سكنية محترمة تحفظ لهم آدميتهم وروحهم الإبداعية ونسيج عطاءاتهم الفكرية.

لماذا نعود إلى الخلف دائماً ولا نتقدم إلى الأمام كباقي خلق الله في الأرض؟.. لماذا تموت أحلامنا قبل أيامنا وتذوب كالملح في محيطات معاناتنا الأزلية؟.. لماذا تجف ينابيع فرحنا وبهائنا ونذبل في عز الربيع؟.

لماذا تغرب الشمس قبل موعد شروقها وتموت في وريدها أهازيج السنابل.. ابتسامات أقمار الياسمين والأمل الجميل؟.. لماذا.. لماذا.. بحق الله لماذا يحدث لنا هذا يا دكتور عوبل.. أيها السياسي والمفكر المعروف؟.

لابد من رؤية لإستراتيجية جديدة في الحقل الثقافي والفكري والإبداعي باعتباره العنوان الأبـرز للهوية الوطنية كما أن الثقافة هي المحدد الأدق الذي نستطيع من خلاله أن نعرف حجم تطورنا وملامح الغد الأجمل الذي ننشده جميعاً بتفاؤل زاه كابتسامات قوس قزح.

(قصة قصيرة)

تذكرت جديلة أمي

محمود العرب

كانت في ما مضى في يوم تمشط شعرها و تعمل جديلتها السوداء الجميلة قبل أن يشتعل في ثناياها الشيب من وقع الزمان الثقيل و كنت أتغزل بها و أتحسس جديلتها الناعمة المخملية قالت لي يا محمود ذكرتني يوم ما كنت في يالو وهي قريتنا المدمرة كنت قبل أن يدمرها الاحتلال و نهاجر منها كنت صبية صغيرة العب مع رفيقاتي من البنات وكن دائماً يسألنني عن شعري الأسود الطويل الجميل فكنت اخجل منهن و اختبئ كالعصفورة بين الأغصان و نلهو بين الأشجار و نصنع من الأزهار عقوداً فنزيدها جمالاً إلى جمالها وهي معلقة في أعناقنا كالوطن معلق بكل عنق حر جميل أيها الوطن يا جدائل الحرية السوداء طويلة هي لياليك كطول جديلة أمي التي برغم سوادها إلا أنها لامعة براقة كلمعان شعر أمي عندما تملسه بزيت الزيتون من شجر الوطن عندما كانت خالتي ترسله لنا من هناك من يالو قريتي المدمرة الخالية من كل شيء إلا من ظل جديلة أمي .

و تذكرت كيف عانت أمي في تربيتي أنا و إخوتي كنا أربعة عشر من بنين و بنات كأنها قبة كالسماء تظللنا تحتها و تحنو علينا وتنير دربنا كالقمر في أحلك الأمسيات، أربعة عشر غصنا تفرعنا من شجرة مباركة زيتونة يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار .

و تذكرت كيف كانت تخيط ثوبها البلدي الفلسطيني بيدها الماهرة ترسم أجمل النقوش كأنها معلمة و فنانة ومن أعلى المعاهد و الجامعات تخرجت بجدارة و هي تخيط بالإبرة و تضع في أصبعها التستبان لتحمي أصبعها من وخز الإبرة الطنانة و هي بفعلها تخيط و تنسج من أشعة الشمس الذهبية مستقبلنا المجهول و تحاول أن تزينه و تتقنه كما تفعل بالثوب، آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه يا أمي كم أنا محتاج إليكِ

ابكي على صدركِ الدافئ الحنون و اشتاق إلى رغيف الخبز الذي كنتِ تخبزينه بيديكِ و هو يشبه في تعرجاته تضاريس وطني و اشتاق إلى المفتول الذي كنت تصنعينه و تهدين إلى الجارات أم عصام و أم محمود و أم أكرم و أم أنور و أم امجد و أم علي و الحجة جميلة ...صحناً منه لأنك أنت وحدكِ تجيدينه و أنت كريمة النفس أمينة و لا أنسى أم الوليد التي تآخت مع أمي أخوة ما بعدها أخوة في الله، خالتي أم الوليد احبك حب أمي فهذا هو الحب الحقيقي، و أمي الثانية أم وائل التي أرضعتني صغيراً عندما كانت أمي مريضة فصارت هي أمي في الرضاعة و هي من الجهة الشرقية فتعانقت الجهتان الشرقية و الغربية لكِ مني كل حب و تقدير من ابن لأمه .

و تخيلوا معي كم كانت معاناتها مع أربعة عشر شخصاً من تنظيف و تلبيس و جلي و أكل و شطف و اخذ المريض للدكتور و السهر على الذي أصابته حمى لعينة ووووو... ووووو...

و بعد زمن أخذت تتعب ولم تعد قادرة على معاركة الحياة اللئيمة و أخذت الأمراض تهطل عليها كالبرد الخارق يخترق جسدها الطاهر بكل قوته فلم تعد قادرة على المقاومة فقد تعب جسدها من مر الأيام و حزنها الهائل.

سكري و ضغط و قلب متسارع و غدد و مفاصل و رئتان لم تعودا تطيقان هواء الغربة المُر و المرض القاتل الذي بسببه فارقت روحها جسدها الطهور هو الفشل الكلوي عليه من الله ما يستحق ....

و لم تعد كليتاها تقويان على فلترة دمها الحنون وأصبحت تغسل دمها مرتين في الأسبوع و تقعد على جهاز فلترة الدم أكثر من ستة ساعات و كنت انظر إليها وابتسم و تنظر إلي و تبتسم رغم الألم رغم الوجع اللعين في القلب الدفين الذي تجرع الألم، و الحزن على مدى السنين، و اخفي في عيني دمع الحنين و حب الزهرة إلى ندى الصباح الأصيل، الزهرة التي أفنت حياتها و تساقطت ورقاتها ورقة تلو الأخرى في تربية أبنائها .

و كانت تحتاج في كل مرة من الفلترة إلى وحدة دم وتبرع إخواني و إنا معهم و كل مؤمن حليم .

و في مرة كنت في العمل مشغولاً فأتصل أخي و قال أمي تريد أن تذهب للمستشفى و تحتاج إلى دم قلت سألاقيكم في المستشفى و سأحضر صديقاً لي إن شاء الله و أخذت اتصل هنا و هناك و لكن لم استطع أن أوفر وحدة الدم و ذهبت إلى المستشفى و عندما وصلت قال لي الممرض المسئول أين تارك الحجة يا مجنون قلت له هي الظروف قال هي تحتاج إلى دم قلت أنا جاهز قال وهل سبق إن تبرعت قلت نعم قال متى فصمت برهة وأنا أفكر بكلام أمي لا تكذب يا محمود فقال لي الممرض هل أنت خائف من الإبرة ؟؟ أجبته و أي إبرة الأمر ألمه اشد من وخزة الإبرة قلت له منذ سنة تقريباً فكذبت لأني سحبت منذ 15 يوماً و قال لي يبدو أن دمك جيد لن آخذ عينة للفحص تعال للسحب مباشرة فقلت هذا أفضل لان أمي تنتظر على آلة الفلترة بسرعة أرجوك ، و حملت وحدة الدم و هرعت إلى أمي الحبيبة فدمي نفسه دم أمي لأنها منحتني دمها عندما عملوا لي عملية و أنا في سن صغيرة و وصلت إلى وطني إلى أمي فقبلت جبينها و قلت لها كيف أنت يا حياتي قالت بصوت مبحوح الحمد لله ، لماذا أنت هنا أليس لديك عمل قلت لها اشتقت لكِ يا حبيبتي، قالت من تبرع بالدم هذه المرّة قلت لها واحد يعشق ترابك موله بتعاريج جبينك يا غالية التي تشبه تعاريج وطني قالت أنت يامحمود قلت نعم أنا قالت مش تبرعت قبل كم يوم قلت عادي دمي قوي و ثائر هادر من أجلك أنت ياوطني يا أمي فدمكِ يسري في جسدي، أنت كنتِ السباقة فسكبت دمك في اقنية شراييني منذ 24 سنة قالت يااااه أمتذكر أنت قلت كيف أنسى لن أنسى لو بعد 24 قرناً فحبك ليس بيدي هو محفور في القلب كما هو الوطن، وبعد فترة وجيزة قررنا عمل عملية لها وزراعة كلى و لكن هل ينفع أن يستبدل جزء حقيقي من الوطن بجزء آخر غريب، فذهبت وأمي و أخي الأكبر و أبي إلى عاصمة الرشيد نلتمس الدواء الشافي لجسد الوطن الغالي، فتمت العملية على أيدي امهر المختصين و الجراحين و توهمنا أن أمنا ستعود إلى سابق عهدها المرموق و بعد فترة قصيرة غابت شمس الحرية و انطفأت كل القناديل المضيئة وانحنت كل الرؤوس العالية وذرفت العيون الدموع الحزينة على فراق الوطن الغالي و تذكرت ما كانت تقوله لي أمي عن يالو القرية الفلسطينية المدمرة عندما غادر أهلها ولم يعودوا لها.

هذا ما حدث عندما قطعت عليّ خلوتي أبنتي فاطمة تسألني عن بكلتها الحمراء ممسكة جديلتها عندها تذكرت جديلة أمي .